اختلاف القراءات
ودورها في بناء التركيب الصوتي
وأثر ذلك في المعنى

دكتور/ عبد الكريم بن نويفع الميموني
أستاذ مساعد - قسم الدراسات القرآنية - جامعة طيبة

ملخص الموضوع:

يتعرض البحث لعلاقة التركيب الصوتي باختلاف القراءات القرآنية ويتكون من خطة البحث بها أهدافه وأهميته وسبب اختيار الموضوع وغيره، ويتجلى في أول الموضوع تعريفات البحث وألفاظه وينحصرا في تعريف القراءات القرآنية والمعنى والصوت، التعرض لأسباب الاختلاف في القراءات وملخصهما اثنان التيسير على الأمة في قراءة القرآن ثم تفضيل القرآن على سائر الكتب التي سبقت، ودور هذا الاختلاف في إثراء المعنى الدلالتي والتركيب الصوتي، ثم دور اختلاف القراءة في بناء التركيب الصوتي المتناغم في مجاله، وأثر ذلك التركيب اللغوي بعامة والدلالي بخاصة. وقد خلص البحث إلى أن الصوت هو ذلك التناغم السمعي المركوز في الفطرة السوية، والمعنى هو تلك الدلالات الواقعة في النفس من سماع النص والتأثر به وأن الاختلاف في القراءات القرآنية يثري النص القرآني بمعان جديدة تسهم في النواحي الفقهية واللغوية وغيرها وأنه يغير في اختلاف التركيب في الجملة وينقلها إلى أطوار متغايرة من التعبير في الصورة المعنوية المتقاربة. وقد أدى ذلك إلى نشأة دلالات أكثر في التعبير وآثر في أحيان في الترجيح الفقهي واللغوي.

Abstract:

The current research investigates the relationship of phonemic composition to the different Qur'anic readings and falls into research plan with its aims, significance, motivation for choosing the topic, and others. At the beginning of the topic the research's definitions and wording are reflected and are limited to the definition of Qur'anic readings, meaning, and sound. The research highlights reasons for these differences, briefly attributed to two reasons: making it easy for the ummah to read the Qur'an, then preferring the Qur'an to other books that preceded it, and the role of this difference in enriching the semantic meaning and phonemic composition, then the role of the difference in reading in building the harmonious phonemic composition in its field, and the effect of that linguistic structure in general and semantic in particular. The research concluded that the sound is that auditory harmony focused on the normal instinct, and the meaning is those connotations that occur in the soul as a result of hearing the text and being influenced by it, and that the difference in the Qur'anic readings enriches the Qur'anic text with new meanings that contribute to the jurisprudential, linguistic and other aspects, and that it changes the different composition in the sentence and it transfers them to different stages of expression in the convergent moral form. This has led to the emergence of more connotations in expression and sometimes more in the jurisprudential and linguistic weighting.

الكلمات المفتاحية:

الدلالية، اللغوية ، إثراء، المعني

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعد،

فلا زالت القراءات القرآنية التي نزل بها القرآن تخفيفا على العرب وغيرهم في تلاوة وفهم الكتاب العزيز؛ لا زالت منهلا وموردا ومعينا لا ينضب لكثير من الدراسات المتعلقة بكل نواحي الفقه واللغة وغيرهما، وصارت أول العلامات البارزة التي يتكئ عليها الباحث للاستدلال والتحليل، وكانت قضايا الصوت والمعنى المترتب عليها من القضايا التي حظيت بالملاحظة والذكر، وهي ما نحاول في هذا المقام التعرف إليه عن قرب وتحليل الشواهد الدالة عليه تحت هذا العنوان، وهو: اختلاف القراءات ودورها في بناء التركيب الصوتي وأثر ذلك في المعنى.

أهمية الموضوع:

تنبع أهمية الموضوع وفاعليته في:

١- تناوله القرآن الكريم وعلاقته بالتركيب الصوتي من خلال اختلاف القراءات القرآنية، وشرف العلم من شرف موضوعه، والموضوع هنا هو القرآن الكريم.

٢- أن الأهمية تنبع من كون البحث يركز في ناحية التركيب الصوتي، وهي قضية شغلت بال القدماء والمحدثين.

٣- أنه يتأتى من وراء البحث فوائد لغوية وفقهية وعقدية هامة نافعة في مجالها.

سبب اختيار الموضوع:

البحث علاقة القرآن عامة والقراءات القرآنية بخاصة بالتركيب بعامة والصوتي بخاصة وهو موضوع قديم حديث فيه زخم تراثي لا ينكر، وربط ذلك بالقرآن الكريم. وكون الموضوع من المسائل الشيقة في الدراسة والتحليل.

أهداف الموضوع:

تتبلور أهداف الموضوع في:

١- إثبات أن اختلاف القراءات تؤثر في التركيب الصوتي للجمل العربية وبالتالي في المعاني والدلالات.

٢- إثبات وجه من وجوه الإعجاز القرآني الباهر، وهو أهم وجه فيه وهو الإعجاز في تركيب الكلمات والجمل.

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي من خلال استقراء الآيات والقراءات المتواترة من سور القرآن وتسليط الضوء على علاقتها بالتركيب الصوتي للجمل التي فيها اختلاف وأثره في الدلالة والمعنى.

مصطلحات الموضوع

تم التعريف بهما في البحث، وأهمها التعريف بالقراءات القرآنية والمعنى والصوت.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتحري وجدت مقالات وكتابات في جوانب أخرى غير ما كتبنا فيه مثل:

(التغييرات الصوتية في القراءات القرآنية) مركز تفسير للدراسات القرآنية.

وهو يرصد التغيرات الصوتية للكلمات في اختلاف القراءات القرآنية، ولا يتعرض للتركيب داخل الجمل وأثر الاختلاف فيه.

(الظواهر الصوتية وتجلياتها في القراءات القرآنية). د جميلة روقاب موقع: أقلام الهند السنة الرابعة العدد الأول يناير مارس ٢٠١٩م.

وهو كسابقه في هذا حيث يرصد التغيرات الصوتية التي تحدث عند اختلاف القراءات

(تأثير القراءات في الدرس الصوتي) إبريل ٢٠١٢م موقع ناس أدرار

يتناول الدرس الصوتي بعامة من خلال تأثير القراءات فيه.

أما البحث موضوعنا فيتعرض لتناسق التركيب واختلاف ذلك التناسق إلى غيره المتناسق أيضا من خلال تركيب جديد.

مجال البحث وحدوده: -

القرآن الكريم في قراءاته المتواترة مع تفسير ذلك وعلاقته بالتركيب الصوتي للجمل.

خطة البحث

***يقع البحث في تمهيد ومبحثين:**

التمهيد وبه تعريفات البحث: **القراءات، المعنى، الصوت.**

المبحث الأول: الاختلاف في القراءات أسبابه، ودوره في إثراء المعنى والتركيب.

المطلب الأول: أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية.

المطلب الثاني: دور الاختلاف في إثراء المعنى والتركيب.

المبحث الثاني: دور القراءات في بناء التركيب الصوتي وآثاره اللغوية والدلالية.

المطلب الأول: دور القراءات في بناء التركيب الصوتي.

المطلب الثاني: آثار القراءات اللغوية والدلالية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

مصادر البحث.

التمهيد وبه تعريفات البحث: القراءات، المعنى، الصوت.

أولا: تعريفات البحث.

١ - القراءات القرآنية:

القراءات جمع قراءة، وهي مصدر من قرأ يقرأ قراءة وقرآنا. وقرأ الشيء: جمعه وضمه. أي ضم بعضه إلى بعض، وقرأت الشيء قرآنا: جمعته وضممت بعضه إلى بعض. (١)

وسمي القرآن قرآنا، لأنه يجمع السور ويضمها. (٢)

فالقراءة لغة الضم والجمع، وهي أيضا تتبع الكلمات نظرا والنطق بها، وقد يسمون القراءة من غير نطق بالقراءة الصامتة. (٣)

واصطلاحا:

القراءة للقرآن هي كيفية أداء كلمات القرآن وحروفه.

أما القراءات القرآنية فأفضل تعريفاتها أنها علم يعنى بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلافها معزوا (أي منسوبا) إلى ناقله. (٤)

فالقراءات القرآنية إذن هي كيفيات قراءة القرآن الكريم على الوجوه المتواترة التي نزل بها على النبي صلى الله عليه وسلم.

قد قسَّم أهل العلم القراءات القرآنية إلى قسمين رئيسين هما: القراءة الصحيحة، والقراءة الشاذة.

وهي القراءة التي وافقت وجها من وجوه اللغة العربية، ووافقت الرسم العثماني ولو احتمالا، ونقلت إلينا بسند صحيح ثابت. فكل قراءة استوفت هذه الأركان الثلاثة، فهي قراءة صحيحة مقبولة، وهذا هو قول عامة أهل العلم.

ومعنى ذلك أن شروطها ثلاثة:

- أن توافق وجها صحيحا من وجوه اللغة العربية.

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية (٣٧٠/١).

(٢) الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسلِم العوَتبي الصُحاري – تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية - وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان - الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م (٨٠٧/٣).

(٣) المعجم المحيط، أديب اللجمي-شحادة الخوري - البشير بن سلامة-عبد اللطيف عب - نبيلة الرزاز - المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي- نبيلة الرزاز (ص: ١٣٦٤).

(٤) منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م (ص: ٩).

- أن توافق القراءة رسم مصحف عثمان رضي الله عنه.
- أن تنقل إلينا نقلا متواترا، أو بسند صحيح مشهور. [١]

٢- تعريف المعنى:

قال الجرجاني [٢]: المعنى: ما يقصد بشيء. [٣]

عرف العلماء المعنى بأنه المقصد المراد من الكلام الملفوظ، وهو هكذا في إجمال التعريف، ويعنون به أيضا ما يراد من ظاهر اللفظ.

قال ابن جني [٤]: "فالمعنى إذًا أشيع وأسير حكمًا من اللفظ؛ لأنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ولست في المعنوي بمحتاج إلى تصور حكم اللفظي، فاعرف ذلك"[٥]

فالمعنى هو المتصور العلي النابع من النفس، أو المعنى شيء عام يعبر به عن مضمون اللفظ، وهو تعريف للمعنى جامع.

٣- أما الصوت:

في اللغة:

فهو من صوت فلان بفلان تصويتا أي دعاه. وصات يصوت صوتا فهو صائت بمعنى صائح، وكل ضرب من الأغنيات صوت من الأصوات. ورجل صائت:

---

(١) انظر. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (المتوفى: ٤٤٤ هـ) تحقيق: د. خلف حمود سالم الشغدلي - الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، والشيخ عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي - دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م (٣٤/١) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى - تصوير دار الكتاب العلمية (٩/١).

(٢) علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، له نحو خمسين مصنفا، منها: التعريفات وشرح مواقف الإيجي، توفي سنة ٨١٦ هـ. انظر ترجمته في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ) منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت (٣٢٨/٥) الأعلام للزركلي (٧/٥).

(٣) انظر. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص: ٢٢٠).

(٤) عثمان بن جني الموصلي، أبو الفتح: من أئمة الأدب والنحو، وله شعر. ولد بالموصل وتوفي ببغداد، من تصانيفه رسالة في من نسب إلى أمه من الشعراء وشرح ديوان المتنبي والمحتسب في شواذ القراءات، توفي سنة ٣٩٢ هـ انظر. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس - دار صادر - بيروت (٢٤٦/٣-٢٤٨) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين - الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٢٠٤/٤-٢٠٥).

(٥) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الرابعة (١١٢/١).

حسن الصوت شديده. ورجل صيت: حسن الصوت، وفلان حسن الصيت: له صيت وذكر في الناس حسن. [١]

والصوت في لسان العرب والتاج: لغة: الجرس، والجمع أصوات، قيل: الصوت صوت الإنسان وغيره، والصائت: الصائح، ورجل صيّت: أي حسن شديد الصوت. [٢]

إذن التعاريف المبدئية للصوت تتحدث عن الجرس وهو جوهر ما يسمع، الحروف التي تخرج من الإنسان فتسمع، ما صار صدى في النفس وهو التعريف الثالث، والمعني به الأغنيات.

وفي الاصطلاح:

يرتبط بمصادر ينبع منه غير هذه، ويتعين المراد منه بحركة آلية في أعضاء النطق؛

لذا يعطي الراغب الأصفهاني [٣] خلاصة دقيقة لهذه المصادر فيقول: "الصوت: هو الهواء المنضغط عن قرع جسمين، وذلك ضربان: صوت مجرد عن تنفس بشيء كالصوت الممتد، وتنفس بصوت ما، المتنفس ضربان: غير اختياري: كما يكون من الجمادات ومن الحيوانات، واختياري: كما يكون من الإنسان، وذلك ضربان: ضرب باليد كصوت العود وما يجري مجراه، وضرب بالفم"[٤]

وقد قسم ماهية الأصوات إلى نوعين:

اختياري وهو فعل الإنسان وهو قسمان ما يفعله بفمه كالكلام ونحوه، وضرب بالآلة كالعود ونحوه، والنوع الثاني ما يكون من الجمادات والحيوانات وهو تقسيم جيد؛ حيث نوع مصدر الأصوات.

---

(١) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي - دار ومكتبة الهلال (١٤٦/٧).

(٢) انظر لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ (٥٧/٢) تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي (٥٩٧/٤).

(٣) الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب: أديب، من الحكماء العلماء. من كتبه: محاضرات الأدباء، المفردات في غريب القرآن، توفي سنة ٥٠٢هـ انظر ترجمته في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى – بغداد- ١٩٤١م (٤٤٧/١) الأعلام للزركلي (٢٥٥/٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي - دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ (ص٤٩٦) وبنحوه في رسالة أسباب حدوث الحروف، لابن سينا (٥٦-٥٨).

المبحث الأول: الاختلاف في القراءات أسبابه، ودوره في إثراء المعنى والتركيب.

تقديم: -

يقع الاختلاف في الوجود في كل شيء أوجده الله لنا، وهذا الاختلاف قال عنه القرآن الكريم:] ! " # $ % & ' (* + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ [هود: ١١٨ – ١١٩] والاختلاف في القراءات القرآنية هو من الأمور الملفتة للنظر في شريعتنا الغراء، وهو من دواعي التأمل لما يحدثه لنا من تأثير في كثير من إحداثيات لغتنا وتفسير القرآن وعدد من أنواع العلم الشرعي واللغوي، وأكثر ما يحدثه هو الإثراء في المعنى والتركيب، وهو ما سنحاول أن نجليه في هذا المبحث،

وهو في مطلبين: -

١ - المطلب الأول: - أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية.

٢ - المطلب الثاني: - دور الاختلاف في إثراء المعنى والتركيب.

لمطلب الأول

أسباب الاختلاف في القراءات القرآنية.

يقرر من خلال البحث أن الأحرف السبعة جميعها قرآن نزل من عند الله سبحانه وتعالى، وأنه لا مجال للاجتهاد فيها، ثم إنه من المقرر أيضا أن العلماء ذكروا لاختلاف القراءات أسبابًا لاختلاف القراءات وتنوعها، نجملها فيما:

أولا: - إرادة التخفيف والتيسير على الأمة.

هذا السبب تكاد تجتمع عليه كلمة أهل العلم في هذه المسالة وذلك تماشيا مع قول الله تعالى:] Z u t s r q p o n [القمر: ١٧] يتجلى ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث: "يا أُبي أن ربي أرسل إلى أن أقرأ القرآن على حرف فرددت اليه أن هون على أمتي" إلخ.

وقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الثانية عن أبي بن كعب: أتاني جبريل فقال: اقرأ القرآن على حرف واحد، فقلت: إن أمتي لا تستطيع ذلك حتى قال: "اقرأ على سبعة أحرف".

قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الرابع: "اسأل الله معاناته ومغفرته وأن أمتي لا تطيق ذلك" حتى قال له جبريل: "أن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"(١)

يقول ابن قتيبة(٢): "ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا- لاشتد ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للّسان، وقطع للعادة. فأراد الله، برحمته ولطفه، أن يجعل لهم متّسعا في اللغات، ومتصرّفا في الحركات، كتيسيره عليهم في الدّين حين أجاز لهم على لسان رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجّهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم"(٣)

يقول ابن تيمية(٤): "قول السائل ما السبب الذي أوجب الاختلاف بين القراء فيما احتمله خط المصحف، فهذا مرجعه إلى النقل واللغة العربية؛ لتسويغ الشارع لهم القراءة بذلك كله؛ إذ ليس لأحد أن يقرأ قراءة بمجرد رأيه؛ بل القراءة سنة متبعة، وهم إذا اتفقوا على اتباع القرآن المكتوب في المصحف الأمامي، وقد قرأ بعضهم بالياء وبعضهم بالتاء لم يكن واحدٌ منهما خارجاً عن المصحف . . والاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف، أما إذا قيل إن ذلك هي الأحرف السبعة فظاهر، وكذلك بطريق الأولى إذا قيل أن ذلك حرف من الأحرف السبعة؛ فإنه إذا كان قد سوغ لهم أن يقرأوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف، مع تنوع الأحرف في الرسم"(٥)

---

(١) القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ) مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م (٣٧/١).

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي من أئمة الأدب، ومن المصنفين المكثرين. . من مصنفاته الشعر والشعراء، عيون الأخبار. توفي سنة: ٢٧٦ هـ. انظر ترجمته في طبقات النحويين واللغويين، محمد بن الحسن بن عبيد الله بن مذحج الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، أبو بكر (المتوفى: ٣٧٩هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم - الطبعة: الثانية - الناشر: دار المعارف (ص١٨٣) الأعلام للزركلي (١٣٧/٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ) تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان (ص: ٣٢).

(٤) شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم، ابن تيمية، الحراني، الفقيه المفسر الحافظ المحدث، ولد بحران ثم تحول به أبوه إلى دمشق، وتوفي سنة ٧٢٨ هـ، من تصانيفه: السياسة الشرعية، والفتاوى، والجمع بين النقل والعقل، ومنهاج السنة، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والواسطة بين الحق والخلق، والصارم المسلول على شاتم الرسول، وشهرته واسعة تغني عن تعريفه. انظر: فوات الوفيات (٧٤/١) الوافي بالوفيات (١١/٧).

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ (٤٢١/٤).

وكما نرى فقد بين الشيخ - رحمه الله - أن السبب الموجب لتنوع القراءات هو تجويز الشارع لهم القراءة بهذه القراءات، فقد سوَّغ لهم أن يقرأوه على سبعة أحرف كلها شاف كاف مع تنوّع هذه الأحرف في الرسم والقراءة، فمن باب أولى أن يسوغ لهم القراءة بأوجه متنوعة مع احتمال الرسم لها.

وقد استقر الأمر على رسم مصحف عثمان، وتُرك هذا الرسم من غير شكل ولا نقط، لتكون صورة الرسم محتملة لأوجه القراءة.[١]

ثانياً:- تفضيل الله عزّ وجلّ القرآن على سائر الكتب المنزلة.

يرى ذلك السبب أبو العباس المهدويّ المقرئ، وقد أفصح عن هذا المعنى وهو يجيب على سؤال افترضه بقوله: "إن قال قائل: ما سبب هذا الاختلاف الذي كثر بين القراء في ألفاظ القرآن؟ قيل له: سببه تفضيل الله عزّ وجلّ القرآن على سائر الكتب المنزلة فيما سلف من الأزمان، كما فضل المرسل به بالخوض في الشفاعة والإرسال إلى الجماعة مما كان على عهده من العرب والعجم ومن بعدهم من الأمم، وإظهار دينه على الدين كلّه، والأعلام الدالة على شرفه على سائر الأنبياء وفضله وإضافته ذكره في الأذان وغيره، إلى ذكره وقسمه عزّ وجلّ بعمره، وغير ذلك من الفضائل التي خصّه بها دون غيره، فكان من فضائله عليه السّلام ما خصّه به من هذا الكتاب البديع النظام، الواسع اللغات، المنصرف بوجوه القراءات، ولست فيما قدّمته في هذا الفصل بمعتقد تفضيل بعض كلام الله تعالى على بعض في الذات، إذ كان ذلك إنّما يجوز في المخلوقات، لكن لمّا كان الأجر يزيد بزيادة القراءات واتساع اللغات، أطلقنا التفضيل في الأجر لا في الذات.

وثبت عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، من طرق كثيرة صحيحة أنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، واختلف الناس في معنى هذا الحديث اختلافا كثيرًا، فأكثرهم على أنّ معناه في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة.[٢]

وعليه يمكن أن نقول: إن السبب الرئيس في هذه التوسعة هو إرادة التخفيف والتيسير التهوين على الأمة، والتيسير عليها في قراءة القرآن الكريم، وقد جاءت الآثار صحيحة في ذلك منها ما جاء في الصحيحين - عن ابن عباس رضى الله عنهما - أن

(١) علوم القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية، بجاد بن حمود بن محمد العماج، إشراف: أ. د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري (١٤٠).

(٢) انظر. بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات وكثرة الطرق والروايات، أبو العباس أحمد بن عمّار بن أبي العباس المهدويّ المقرئ المتوفى نحو ٤٤٠ هـ والمهدوي نسبة إلى المهدية بالقيروان (ص: ٢٥).

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"[١] وزاد مسلم: " قال ابن شهاب: بلغني أن تلك السبعة في الأمر الذي يكون واحداً لا يختلف في حلال ولا حرام"[٢]

وأخرج مسلم بسنده عن أبى بن كعب، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان عند أَضَاءة بنى غفار، قال: "فأتاه جبريل - عليه السلام - فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاء الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال: أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتى لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف، فأيما حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"[٣]

وقد جمع بعض المتأخرين أسبابًا متنوعة في اختلاف القراءات، منها الصحيح المقبول ومنها السقيم المردود، الذي أثاره بعض المستشرقين المشككين، رأينا أن نسوقها في نهاية المطلب تنبيهًا على عوارها، وقد كفانا الرد عليها كبار أهل العلم.

فيقول صاحب صفحات في علوم القراءات: "ذكر بعض الناس أسبابًا متعددة في اختلاف القراءات؛ منها:

ثالثاً:- اختلاف قراءة النبي صلى الله عليه وسلم:

فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم لم يلتزم عند تعليمه القرآن للمسلمين لفظًا واحدًا، وتدل على ذلك أحاديث نزول القرآن الكريم على الأحرف السبعة؛ حيث صوَّب الرسول - صلى الله عليه وسلم - قراءة كل من اختلف من الصحابة مع زميله، وقال كل واحد منهم أنه أخذها من الرسول صلى الله عليه وسلم.

والقراءات المتواترة بكثرتها خير دليل على ذلك؛ حيث إنها رُويت بأسانيدها الصحيحة المتواترة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

(١) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤٩٩١) مسلم، كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٨١٩) من حديث ابــن عباس رضي الله عنهما

(٢) هذه الزيادة من صحيح مسلم كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٨١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٨٢١) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

رابعاً:- اختلاف تقرير النبي - صلى الله عليه وسلم - لقراءة الصحابة:

حيث كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - مأمورًا بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، فالهذلي يقرأ: "عتى حين" بالعين بدل الحاء، والأسدي يقرأ: "تعلمون" و"تسود" بكسر التاء، والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز، فجعل الله لهم متسعًا في اللغات كتيسيره عليهم في الدين.

اختلاف النزول:

كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعرض القرآن على جبريل في كل رمضان، وتلقى الصحابة حروف كل عرض، فمنهم من قرأ على حرف، ومنهم من قرأ على حرف آخر، وقد اجتمعوا على عرضات أخيرة، فلم يقع الاختلاف إلا في أحرف قليلة، وألفاظ متقاربة، ولعل قصة اختلاف عمر وهشام - رضي الله عنهما- تدل على اختلاف النزول؛ حيث فيها: "كذلك أنزلت" ولهذا اختلفت المصاحف العثمانية في أحرف قليلة، وقد فرقها الصحابة في المصاحف.

اختلاف الرواية عن الصحابة:

ذلك أن الصحابة قد اختلف أخذهم للقرآن من فِيِّ الرسول - صلى الله عليه وسلم - فمنهم من أخذ بحرف، ومنهم من أخذ بحرفين أو أكثر، كما أن قراء المصاحف العثمانية من الصحابة كانوا على علم بالقراءات المختلفة؛ ولذلك اختلف أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين عن أساتذتهم من التابعين، وهلم جرًّا. . . إلى أن وصل الأمر إلى الأئمة المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات.

اختلاف اللغات أو اللهجات:

ذهب إليه ابن قتيبة وأبو شامة، ويدل على قولهما ما رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله تعالى أنزل هذا القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب.

وتبناه بعض المعاصرين من تلامذة المستشرقين، والحق أن اختلاف اللغات أو اللهجات ليس هو في جميع القراءات؛ وإنما في بعضها.

خامساً:- عدم النقط والشكل واجتهاد القراء في هيكل الكلمات القرآنية:

ذهب إليه المستشرق جولد تسيهر[1] وتأثر به بعض المعاصرين من المنتسبين إلى الإسلام.

ولقد تصدَّى للرد على هؤلاء كثيرون؛ منهم:

١- محمد طاهر الكردي في: تاريخ القرآن.

٢- عبد الوهاب حمودة في: القراءات واللهجات.

٣- عبد الفتاح القاضي في: القراءات في نظر المستشرقين والملحدين.

الخلاصة:

إن أسباب اختلاف القراءات ترجع إلى سببين رئيسين:

-تعدد النزول:

ويدخل فيه قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - وبعض تقريره، والكثير من المروي عن الصحابة.

-تعدد اللهجات:

ويدخل فيه القليل من فعل النبي - صلى الله عليه وسلم - والكثير من تقريره.

والذي أراه هنا ويظهر لي - والله أعلم - أن سبب اختلاف القراءات واحد لا يتعدد، وهو الذي عُنون بـــ"نزول القرآن على الأحرف السبعة" ولكن هذا السبب يتوقف في وجوده على سبب آخر؛ وهو وجود اللغات واللهجات المختلفة، فيندرج في ذلك كل الخلافات القرآنية، سواء كانت لسبب قراءة النبي - صلى الله عليه سلم - أو تقريره أو بسبب تعدد النزول، أما اختلاف الرواية عن الصحابة فهو يتوقف على تلقيهم من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو قراءتهم عليه.

ثم قبل ما رُوي بالتواتر، أو الاستفاضة، وحُكم على ما دون ذلك بالشذوذ.

وليس معنى تقرير النبي - صلى الله عليه وسلم - لقراءة الصحابة أنه عليه السلام كان يقرر قراءة كل صحابي يقرأها حسب لغته ولهجته باجتهاد منه دون التلقي؛

(١) هو: أجناس كولد صهر، مستشرق مجرى، يلفظ اسمه بالألمانية «أجناتس جولد تسيهر»، تعلّم في بودابست وبرلين، ورحل الى سورية سنة ١٨٧٣، فتعـرّف بالشيخ طاهر الجزائري (طاهر ابن صالح الجزائري، ثم الدمشقي- ت ١٣٣٨ هـــ) وصحبه مدة، وانتقل إلى فلسطين ثم مصر، له تـصانيف باللّغـات الألمانيـة والإنكليزية والفرنسية في الإسلام والفقه الإسلامي والأدب العربي، ترجم بعضها إلى العربية، منها: العقيدة والشريعة في الإسلام ومـذاهب التفـسير الإســلامي، توفى سنة ١٣٤٠ هـــ (الأعلام ١/ ٨٠).

وذلك لأن القرآن كله - بأحرفه المختلفة - وحي منزّل من الله - عز وجل - لا قياس فيه ولا اجتهاد.[1]

-كما ساق البعض فوائد اختلاف القراءات، وقد تتضمن في بعضها - في الوقت ذاته - أسبابًا وحكمًا لاختلاف وتعدد القراءات القرآنية.

-**فمنها ما يكون لبيان حكم شرعي مجمع عليه**، مثل قراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (وله أخ أو أخت من أم) فإن هذه القراءة بينت أن المراد بالأخوة هنا الأخوة لأم، وهذا حكم مجمع عليه بين الفقهاء.

-ومنها: **ما يكون مرجحا لحكم اختلف فيه** كقراءة: (أو تحرير رقبة مؤمنة) بزيادة: (مؤمنة)

-ومنها: **ما يكون للجمع بين حكمين مختل**فين مثل: (يطهرون) بالتخفيف والتشديد.

-ومنها: **ما يكون لأجل اختلاف حكمين شرعيين**، كقراءة: (وأرجلكم) بالخفض، والنصب، فقد قرأ نافع، وابن عامر، وحفص، والكسائي، ويعقوب بنصب اللام، عطفا على أيديكم، فيكون حكمها الغسل كالوجه.

-ومنها: **ما يكون لإيضاح حكم يقتضي الظاهر خلافه**، كقراءة "فامضوا الى ذكر الله"

فان قراءة: (فاسعوا)[2] يقتضي ظاهرها المشي السريع، وليس كذلك، فكانت القراءة الأخرى موضحة لذلك.

-ومنها: **ما في ذلك من عظيم البرهان، وواضح الدلالة**، اذ هو مع كثرة هذا الاختلاف، وتنوعه، لم يتطرق اليه تضاد، ولا تناقض، ولا تخالف، بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذاك الا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق جاء به النبي صلى الله عليه وسلم.

-ومنها: **إعظام أجور هذه الأمة** من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليبلغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك، واستنباط الحكم، أو الأحكام من دلالة كل لفظ، واستخراج كمين

(١) ينظر: صفحات في علوم القراءات، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، ط: الأولى- ١٤١٥ هـ (ص: ١٥٦-١٦٤).
(٢) قراءة الجمهور وهي القراءة الصحيحة المتواترة.

أسراره، وخفي إشاراته، وإمعانهم النظر في الكشف عن التوجيه، والتعليل، والترجيح، والتفصيل، بقدر ما يبلغ غاية علمهم، ويصل إليه نهاية فهمهم.

-ومنها: **ما ادخره الله من المنقبة العظيمة**، والنعمة الجليلة، لهذه الأمة من إسنادها كتاب ربها، واتصال هذا السبب الإلهي بسببها.

-ومنها **بيان فضل هذه الامة وشرفها على سائر الأمم**، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقي، وإقبالهم عليه هذا الإقبال، والبحث عن لفظة لفظة، والكشف عن صيغة صيغة، وبيان صوابه، وبيان تصحيحه، وإتقان تجويده، حتى حموه من خلل التحريف، فلم يهملوا تحريكا ولا تسكينا، ولا تفخيما ولا ترقيقا، حتى ضبطوا مقادير المدات، وتفاوت الإمالات، وميزوا بين الحروف بالصفات.

-ومنها: **ظهور سر الله تعالى في توليه حفظ كتابه العزيز**، وصيانة كلامه المنزل بأوفى البيان والتمييز، فإن الله تعالى لم يخل عصرا من العصور، ولو في قطر من الأقطار، من إمام حجة قائم بنقل كتاب الله تعالى، واتقان حروفه، ورواياته، وتصحيح وجوهه، وقراءاته.[١]

المطلب الثاني

دور الاختلاف في إثراء المعنى والتركيب

تتعدد وجوه القراءات القرآنية، وتتعدد معها التراكيب اللغوية، والوجوه النحوية، فيكون لذلك الأثر الواضح على المعاني، ويقرر الماوردي هذا المعنى، فيؤكد أن اختلاف وجوه الإعراب قد يختلف بموجبه المعاني، فيقول: "إن كان اختلافه أي: الإعراب موجبا لاختلاف حكمه، وتغيير تأويله لزم العلم به في حق المفسر والقارئ ليتوصل المفسر إلى معرفة حكمه"[٢]

ولذلك اختلف المفسرون في استنباط المعنى المقصود والمراد من الكلمات القرآنية، التي جاءت على وجوه متعددة، وفي ذلك لا شك إثراء للمعنى القرآني؛ فالآية التي ترد بقراءتين أو أكثر يترتب عليه أن تتعدد الآراء في تفسيرها تبعاً لتعدد هذه القراءات؛ لأن هذه القراءات كثيرًا ما تضيف معاني جديدة مما ليس موجودًا في غيرها

(١) ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية، سالم محيسن (١/٣٧-٣٩).

(٢) تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان (١/ ٣٨).

من القراءات الواردة في نفس الآية، فيترتب على ذلك أن يتناول بعض المفسرين الآية من خلال قراءة معينة، بينما يتناولها غيرهم من خلال قراءة أخرى فيحدث الخلاف.

وننبه هنا إلى أن هذه القراءات التي تحدث تعددًا واختلافًا في الأوجه التفسيرية، قد لا تكون في درجة واحدة في بعض الأحيان، كأن يكون بعضها متواترًا وبعضها شاذًا، كما أنها تكون في كثير من الأحيان في درجة واحدة من التواتر، ولكل حالة من هاتين الحالتين حكمها الخاص وقواعدها التي تضبط تعامل المفسرين معها"[1]

وهناك العديد من الشواهد، التي يمكن أن نمثّل بها ليتأكد هذا المعنى، ونظرًا لثراء صفحات القرآن بذلك، سنجمل الحديث عنها، ونصنف مجموعة الآيات القرآنية محل البحث والاستدلال، والتي تبين الأثر المعنوي للصيغة والتركيب، تحت نقاط ثلاث:

الأولى: التناوب في الفاعلية

ومن ذلك قول الله - سبحانه وتعالى - حكاية عن فرعون:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 Z [غافر: ٢٦] قرأ نافع وأبو عمرو وحفص بضم الياء، وكسر الهاء، ونصب الفساد، نسبوا الفعل إلى موسى عليه السلام فهو فاعل الإظهار، وانتصب الفساد بـــ:يظهر والفاعل مضمر في **(ئ)** وهو موسى على معنى: أن فرعون قال أخاف أن يظهر موسى الفساد في الأرض، ولما كان التبديل مضافًا إلى موسى وجب أن يكون الإظهار أيضًا مضافًا إليه، ليتفق الفعلان في المعنى، فيكونان مضافين إلى موسى، وهو الاختيار، لصحة معناه وللمطابقة بين الفعلين، وقرأ الباقون بفتح الياء والهاء، ورفع] 3 Z أضافوا الفعل إلى] 3 Z فرفعوه به، لأنه فاعل بظهوره، ولأن التبديل إذا وقع في الدين ظهر الفساد في الأرض، فجعل الكلام الثاني على معنى الأول.[2]

قوله تعالى:] Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö Ø Ù Ú Û Ü Z [البقرة: ٣٧] قرأه ابن كثير بنصب:] Ñ Z ورفع: (Ô) وقرأه الباقون برفع آدم، ونصب:

---

(١) ينظر: المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات، أ.د أحمد سعد الخطيب، الأستاذ المشارك بكلية التربية للبنات بجازان، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، إهداء من المؤلف وفقه الله لشبكة التفسير والدراسات القرآنية (ص: ٣٩).

(٢) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) تحقيق: الشيخ أنس مهرة - دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م (ص: ٢٠٦) الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط: الأولى، ١٣٩٤ هـ (٢/٢٤٣).

(الكلمات) ذهب بعضهم إلى استواء المعنى، فقال: "والمعنى واحد لأن من تلقيته فقد تلقاك"[١]

وفرق البعض وقد كشف عن العلة فقال: "وعلة من نصب] Ñ Z ورفع (الكلمات) أنه جعل الكلمات استنقذت] Ñ Z بتوفيق الله له، لقوله إياها، والدعاء بها، فتاب الله عليه، وأيضًا فإنه لما كان الله، جل ذكره، من أجل الكلمات تاب الله عليه، بتوفيقه إياه لقوله لها كانت هي التي أنقذته، ويسرت له التوبة من الله، فهي الفاعلة، وهي المستنقذ بها، وكان الأصل أن يقال على هذه القراءة: فتلقت آدم من ربه كلمات لكن لما كان بعد ما بين المؤنث وفعله حسن حذف علامة التأنيث، وهو أصل يجري في كل القرآن، إذا جعل فعل المؤنث بغير علامة، وقيل: إنما ذكر، لأنه محمول على المعنى؛ لأن الكلام والكلمات واحد، فحمل على الكلام فذكر، وقيل: ذكر لأن تأنيث الكلمات غير حقيقي؛ إذ لا ذكر لها من لفظها، وبذلك قرأ ابن عباس ومجاهد وأهل مكة.

وعلّة من قرأ برفع] Ñ Z ونصب (الكلمات) أنه جعل] Ñ Z هو الذي تلقى الكلمات؛ لأنه هو الذي قبلها ودعا بها، وعمل بها، فتاب الله عليه، فهو الفاعل لقبوله الكلمات، فالمعنى على ذلك، وهو الخطاب، وفي تقديم:] Ñ Z على الكلمات تقوية أنه الفاعل، وقد قال أبو عبيد في معنى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) معناه: قبلها، فإذا كان آدم قابلا فالكلام مقبول، فهو المفعول وآدم الفاعل، وعليها الجماعة"[٢]

وهناك من حمل (تلقّى) على (تلقّن) واستحسنه وقال هو أقوى وأحسن في العربية؛ لأن التلقي ههنا بمعنى التلقن والقبول، فآدم هو القابل والمتلقن، والكلمات مقبولة متلقنة، يؤيد ذلك قوله تعالى:] o p q Z [النور: ١٥] فأسند الفعل إلى المخاطبين، وجعل القول مفعولا به.[٣]

وقد رُدّ، لأن مما يقلب ياءً هو مما تجانس حرفاه، مثل: تظنّن وتسرّر وتقصّص وأملل فحُمل هذا القول على الغلط"[٤]

---

(١) شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ) تحقيق: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ (ص: ١٧٢).

(٢) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب (٢٣٧/١).

(٣) ينظر: الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن أبي مريم (ت: بعد ٥٦٥ هـ) الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ (ص: ٢٦٩)

(٤) ينظر: الخلاف النحوي في القراءات القرآنية، ناصر سعيد ناصر العيشي، إشراف: أ. د. عبد الله أحمد الجبوري، أطروحة تقدم بها المؤلف إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها جمادى الأولى ١٤٢٣هـ (١/ ١٦٥).

فانظر كيف كان لتقديم المفعول أو البقاء على الفاعل أو تغييره هو مظهر داع إلى الاختلاف فيها لتنويع المعنى وإثراء الدلالة وضبط التركيب، وكيف توازن ذلك التقديم والتأخير في منظومة واحدة بحيث كل مع صنوه ليؤدي المعنى في التركيب المتناغم، وهو سر عظيم في القراءات يؤكد على براعة التركيب الناجم على هذا الترتيب.

الثانية: الاتصال أو القطع والابتداء

من أمثلة ذلك قوله تعالى:] ¼ ½ ¾ Z [النور: ٥٨] فهي على معنى من التركيب، لا يجوز الابتداء بها وقطعها عما قبلها، لتعلقها بالبدلية في هذا المعنى، وهي على معنى آخر يجوز قطعها عما قبلها إذا ما جاءت على معنى آخر بإضمار هذه، فقد قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي (ثلاث عورات) بنصب الثاء، ورفعها الباقون، فمن نصب لم يبتدئ به؛ لأنه بدل من قوله قبله:] يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ

µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢

¶ ¸ ¹ º Zوالتقدير: ليستأذنكم هؤلاء لأوقات ثلاث عورات، فلذلك لا يجوز أن يقطع منه.

ومن رفع جاز له الابتداء به لأنه مستأنف، وذلك أنه يوقعه على إضمار مبتدأ؛ تقديره: هذه ثلاث عورات، أو يرفعه بالابتداء، والخبر في قوله (لكم). (١)

ومثله: قولـــــه تعالى:] ! " # $ % & ' (

) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :

; < Z [البقرة: ٢٣٤]

الذين في موضع رفع إن شئت بالابتداء، والتقدير: يوصون وصية. والمعنى ليوصوا وصية، وإن شئت كان الذين رفعًا بإضمار فعل أي يوصي الذين يتوفون منكم وصية، وفي الرفع وجه ثالث أي وفيما فرض عليكم الذين يتوفون منكم ويذرون أزواجًا يوصون وصية لأزواجهم والذين مبني على حال واحدة؛ لأنه لا تتم إلا بصلة ويقال: الذون في موضع الرفع.

(١) ينظر: التذكرة في القراءات لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيـري إبـراهيم (٢: ٥٧١) ناصـر الطيـار، مركـز الدراسـات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية، ١٤٢٩ هـ (ص: ٢٥٤).

ومن قرأ وصية بالرفع فتقديره:والذين يتوفون منكم عليهم وصية لأزواجهم.[١]
والحجّة لمن نصب: أنها مصدر، والاختيار في المصادر النصب إذا هي وقعت مواقع الأمر كقوله: فَضَرْبَ الرِّقابِ.[٢]

وفي هذا التركيب يتصل صدر الآية بوصية فيتسلط عليه، كأنه قال: يوصون وصية، أو فليوصوا وصية، فالنصب يدل على معنى الأمر، والحجة للرفع، كما قال نحويو البصرة: يجوز أن ترتفع من وجهين أحدهما أن تجعل الوصية متبدأ والظرف خبرًا كما تقول سلام عليكم، والآخر أن تضمن له خبرًا المعنى فعليهم وصية لأزواجهم. [٣]

وفي هذا التركيب انقطع صدر الآية، وذلك أنه يوقعه على إضمار فيكون الخبر محذوف، بتقدير: فعليهم وصية.

فحسن الابتداء بنكرة، لأنه موضع تخصيص، كما حسن "سلام عليك" ويجوز أن ترفع (الوصية) بالابتداء، والخبر محذوف، ويكون: لأزواجهم صفة للوصية، فيحسن الابتداء بنكرة، إذ هي موصوفة، والنكرات إذا وصفت حسن الابتداء بها، لما فيها من الفائدة. . وفي حرف ابن مسعود: "الوصية لأزواجهم" فهذا يقوي الرفع، والرفع هو الاختيار لما ذكرنا، ولأن عليه الحرميين وأبا بكر وغيرهم، وهي قراءة علي بن أبي طالب وقتادة ومجاهد وأصحاب ابن مسعود والأعرج وغيرهم [٤] ولعل الاختيار لما فيها من التخصيص، ولأن عليها قراءة الأماجد.

الثالثة: البناء للمعلوم والبناء للمجهول

وذلك في قوله تعالى:] 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; Z [الكهف: ٤٧] قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: (تُسيَّر) بالتاء لتأنيث الجبال فعل. ما لم يُسم فاعله، ولهما حجتان: أحدهما: قوله: (وسُيرت الجبال).

والحجة الثانية: أن أُبيًّا قرأ: (ويوم سيرت الجبال) فإذا كان الماضي سُيرت كان المضارع تُسير. وقرأ الباقون:] 1 Z بالنون فالله تعالى يُخبر عن نفسه

(١) إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ) تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ (١٢٠/١).

(٢) الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ص: ٩٨).

(٣) حجة القراءات، أبو زرعة ابن زنجلة (ص: ١٣٨).

(٤) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب (٢٩٩/١).

] 2 Z نصب مفعول بها. وحجتهم: قوله:] 6 7 8 9 : Z فرد اللفظة على اللفظة المجاورة لها أحسن من أن يستشهد عليها بغيرها مما بعد منه، وكلتا القراءتين حسنة (١)

وهذا لا شك بيان في الاستحسان الصوتي في توجيه القراءة، والنصب بإضمار فعل، والتقدير: واذكر يا محمد يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة، أي: ظاهرة لا يسير منها شيء؛ لأن الجبال إذا سيرت عنها وصارت دكاء ملساء ظهرت وبرزت. وقيل: وترى الأرض بارزة أي: تبرز ما فيها من الكنوز والأموات وهي شبيهة بقوله: وترمي الأرض أفلاذ كبدها، وقال بعض النحويين من أهل البصرة يجوز أن ينصب:] 0 1 2 Z بقوله تعالى:] ') (* + , Z في يوم نسير الجبال. (٢)

ويضاف إلى ذلك حجة أن من قرأ بالنون أنه بناه على الإخبار من الله جل ذكره عن نفسه، إذ هو فاعل كل الأفاعيل ومدبرها ومحدثها، وانتصبت الجبال بوقوع الفعل عليها، لأن الفعل مبني للفاعل، وقوى ذلك أنه محمول على ما بعده من الإخبار في قوله:] 6 7 8 9 : Z فجرى صدر الكلام على آخره، لتطابق الكلام، وهو الاختيار. (٣)

وفي ذلك اعتبار لتركيب الجملة، فقوى ذلك الوجه، إذ جرى صدر الكلام على آخره، لتطابق الكلام، وربط صدر الكلام بعجزه، لذلك فهو المختار عند مكيّ.

الرابعة: التخفيف والتثقيل

وذلك في مثل قوله تعالى:] y x w v u t r q p z وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ Z [البقرة: ٢٢٢]

قرأه الحرميان وأبو عمرو وابن عامر وحفص مضموم الهاء، مخفّفًا، على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه، ولكن لم تتم الفائدة إلا بقوله:] ¢ £ Z أي: بالماء، فأتوهن، فبهذا تمت الفائدة والحكم؛ لأن الكلام متصل بعضه ببعض، فلا يحسن أن يكون:] يَطْهُرْنَ Z مخففًا، تتم عليها الفائدة والحكم؛ لأنه يوجب إتيان المرأة إذا انقطع

(١) ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠ هـ) مكتبة الخانجي، القاهرة - ط: الأولى، ١٤١٣ هـ (٣٩٧/١-٣٩٨).

(٢) إعراب القراءات السبع وعللها، ابن خالويه (٣٩٨/١).

(٣) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٦٤/٢).

عنها الدم، وإن لم تتطهر بالماء، ويكون قوله:] ¢ £ Z لا فائدة له؛ إذا الوطء قد يتم بزوال الدم، فلابد من اتصال، فإذا تطهرن بما قبله، وبه يتم الحكم، والفائدة في أن لا توطأ الحائض إلا بانقطاع الدم، والتطهير بالماء، فلو حمل الأول على التشديد، وفتح الهاء محمل الثاني، للزم أن توطأ الحائض، إذا تطهرت، وإن لم ينقطع عنها الدم، ففي التخفيف بيان الشرطين اللذين مع وجودهما، وطأ الحائض، وهما: انقطاع الدم، والتطهير بالماء، وليس مع التشديد للطاء فيها دليل على أن انقطاع الدم شرط للوطء، فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته، وهو الاختيار؛ لأن فيها بيان إباحة الوطء بعد انقطاع الدم والتطهير بالماء . . قال أبو محمد: ولولا اتفاق الحرميين، وابن عامر وأبي عمرو وحفص على التخفيف، لكان التشديد مختارًا أيضًا؛ لما ذكرنا من العلة.(١)

والأصل في قراءة التشديد يتطهرن فأدغمت التاء في الطاء: أي حتى يغتسلن، والمعنى في قراءة التخفيف حتى ينقطع الدم فتعين حملها على القراءة الأخرى أو تنزل القراءات منزلة اجتماعهما، فكأنه قيل حتى يطهرن ويتطهرن: أي حتى يجتمع الأمران وهما انقطاع الدم والاغتسال، وهذا مذهب الجمهور من الفقهاء. (٢)

وبالجملة "من قرأ بالتخفيف، فإن الطهر يكون عنده بانقطاع الدم، فيجوز له الوقف عليه؛ لأنه وما بعده كلامان، ومن قرأ بالتشديد، فإن الطهر عنده يكون بالغسل، فلا يجوز له الوقف عليه؛ لأنه وما بعده كلام واحد"(٣)

فكان للتركيب الصوتي للألفاظ القرآنية، كبير فائدة عند اللغويين؛ وقفًا وابتداء، وعند جمهور الفقهاء، لتوجيه القراءة في استنباط المعنى وبناء الحكم الشرعي على هذا التناغم الصوتي واختلاف التركيب المؤدى عنه.

ومثله قوله تعالى:] * + , - . / 0 Z [البقرة: ١٧٧] ومثله:

] © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ Z [البقرة: ١٨٩]

ولعلّ الاختلاف بين العلماء في توجيهاتهم لأعاريبهم. . خير دليل على أنّ دراسة النَّحْو على أساس المعنى ضرورة ملحّة، تكسب الموضوع جدّةً وطرافةً، وتزيد

(١) ينظر: الكشف عن وجوه القراءات السبع، مكي بن أبي طالب (٢٩٤/١).

(٢) ينظر: شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ص: ١٩٦).

(٣) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (ت: نحو ١١٠٠هـ) تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، ٢٠٠٨م (١٠٧/١).

المسألة عمقاً ونضوجًا، وتكسب العقل قوّةً ولياقةً، وتضفي على المقام مرونةً ولطافة، بخلاف ما يظنّ أنّه جافّ وفيه قسوة أو تكلّف أو فظاظة. (١)

وقد تجلّى من خلال صفحات البحث، ما أجمع عليه علماء المسلمين: أن الاختلاف في القراءات إنما هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض.

(١) أثر تعدد الآراء النحوية في تفسير الآيات القرآنية، د. سامي عوض ــ ياسر محمّد مطره جي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (٢٩) عدد (١) ٢٠٠٧م (ص: ٤٥).

المبحث الثاني: دور القراءات في بناء التركيب الصوتي وآثاره اللغوية والدلالية

تقديم: -

قد وضح مما سبق أنه قد لوحظ في اختلاف القراءات المتواترة أن لهذه القراءات واختلافها أثرا واضحا في مناح كثيرة معنوية ودلالية، ومن وراءها فقهية وخلافات علمية من أنواع متعددة، وهنا نستوضح تطبيقا عمليا لشيء من ذلك من خلال التعرف على دور القراءات القرآنية في بناء التركيب الصوتي للكلمة والجملة، ومن ثم آثار هذه اللغوية بعامة والدلالية بخاصة، وهو ما نتعرف عليه من خلال هذا المبحث، والذي يحتوي على **مطلبين اثنين هما: -**

المطلب الأول: دور القراءات في بناء التركيب الصوتي.

المطلب الثاني: آثار القراءات اللغوية والدلالية.

المطلب الأول: دور القراءات في بناء التركيب الصوتي

تبادل الحروف في الكلمات وتناوب الوظائف في التركيب الصوتي لهذه الكلمات، له كبير أثر في بناء النص القرآني.

ومما يُشيُر إلى تميُز الحرف حال وروده في نص القرآن العظيم ذلك الأثر الذي يُحْدثه التركيب الصوتي لكلمات القرآن في ذات المُستمع حتى وإنْ لم يكن عقله مُقبلًا على إدراك المعاني، ودليلنا على هذه الحالة ما يشهده في أنفسنا وفي غيرنا من تأثر بما يصل إلى السمع من أصوات الحروف في نَصّ القرآن العظيم. (١)

ويبين الرماني التلاؤم والتجانس لأصوات القرآن الكريم: "ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تمامًا، فإن القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وذلك بيّن لمن تأمله، والفرق بين القرآن وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساسًا بذلك وفطنة له من بعض"(٢)

*فاستبان أن التلاؤم في أصوات القرآن من وجوه:

السبب في التلاؤم ويعود به إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤماً.

---

(١) اللباب في أم الكتاب، محمد مبارك المزيودي (ص: ٧٥).

(٢) النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ) تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، ١٩٧٦م (ص: ٩٥)

والفائدة في التلاؤم، يعود بها إلى حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النفس لما يرد عليها من حسن الصورة وطريق الدلالة.

وظاهرة التلاؤم، ويعود بها إلى مخارج الحروف في اختلافها فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو من أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسط بين ذلك. (١)

ما يعني أن التركيب الصوتي، الذي يتعدد مع تعدد القراءات القرآنية الصحيحة، له مقاصد شرعية، في إحداث ذاك الأثر النفسي في الذات البشرية، التي تتلقى نور الوحي، ليجعل هناك نوعًا من التعاطي قائمًا على الانسجام النفسي والروحي.

تطبيقات لهذا المعنى

قوله جلَّ وعزَّ:] فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ Z [البلد: ١٣ - ١٤].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي: (فَكَّ رَقَبَةً أَوْ أَطعَمَ) بالنصب.

وقرأ الباقون:] فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ Z

قال أبو منصور: من قرأ:] فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ Z

فالمعنى: اقتحام العقبة: (فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ).

(فَك رقبة): الإعانة في فكاكها، كالمكاتَب، والمُعْتَق على مال، يُعَان على فكاكها. (٢)

واختار الفرّاء هذه القراءة، واحتج بأن بعده ثم كانّ أي فلمّا عطف بـــ كان وهي فعل ماض على الأول وجب أن يكون "فكّ" ليعطف فعلا ماضيا على فعل ماض (٣) فعطف عليه بالفعل الماضي، فوجب أن يكون ما قبله بلفظ الماضي، ليتفقا في اللفظ وكما هو بيّن إنما مراعاة للتركيب الصوتي، وهو ما عبّر عنه أهل الأصوات بتعالق العناصر المشكّلة له.

(١) ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرّخ العربي – بيروت، الأولى - ١٤٢٠ هـــ (ص: ٧٨/٧٧).

(٢) معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـــ) مركز البحوث في كلية الآداب - جامعـــة الملـــك ســـعود، المملكة العربية السعودية - ط: الأولى (١٤٧/٣).

(٣) إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس (١٤٣/٥).

قال أبو علي الفارسيّ [١]: وزعموا أن أبا عمرو احتج لقراءة: (فكَّ رقبةً) بقوله:] ± ² ³ ´ µ ¶ ¸ ¹ º » Z [البلد/ ١٧] كأنه لما كان فعلًا وجب أن يكون المعطوف عليه مثله.[٢]

وذهب جمع كبير من النحويين واللغويين إلى اختيار المصدر ظهر ذلك عند الأخفش وأبي عبيد وأبي حاتم وآخرين، وقد رأوا في هذا الاختيار أيضًا مجانسةً لما قبله وتبييناً له، فكأنه حمل على التساؤل؛ فما أدراك ما العقبة؟ فرد بقوله: (فكُّ رقبة) [٣]

والملاحظ على كلا التخريجين، أنت ثمة محاولة من كل فريق للكشف عن وجه من وجوه المجانسة في التركيب الصوتي في القراءة الواحدة.

ومثله قوله تعالى:] @ A B C Z [البقرة: ٢٧١]

قالوا: إن العطف يعد موضعا حيويًّا لتبدي هذه العلاقة؛ لأنه أداة ترابط بين أجزاء الكلام، ولأنه يشير إلى الاتساق الداخلي والخارجي معًا، فحين يقطع المخاطب يقصد أن يحدث أثرًا ما في ذهن المخاطب، وحين يعطف ويصل يقصد شيئًا آخر.[٤]

قوله:] @ A B C Z قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر: (ونكفر) برفع الراء على الاستئناف، يقول الله جل وعز (ونحن نكفر) وحجته قوله: (فهو خير لكم) لما كان جواب الجزاء في الفاء، ولم يكن فعلا مجزومًا لم يستجيزوا أن ينسقوا فعلا على غير جنسه، ولو كان جزما لجزموا الفعل المنسوق على الجزاء إذا كان فعلا مثله، وقرأ نافع وحمزة: والكسائي: (ونكفر) بالجزم على موضع: (فهو خير لكم).[٥]

إن السياق الداخلي يتحدد بحسب مكوناته، وهو ما يعيدنا إلى قولهم: لكل كلمة مع صاحبتها مقام، ويعيدنا إلى التحليل المكوناتي عند علماء الدلالة في العصر الحديث.

---

(١) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي: أحد الأئمة في علم العربية. من كتبه: التذكرة في علوم العربية وتعاليق سيبويه والشعر والحجة في علل القراءات وجواهر النحو والإغفال فيما أغفله الزجاج من المعاني والمسائل البصريات. توفي سنة: ٣٧٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان (٨٠/٢) الأعلام للزركلي (١٧٩/٢).

(٢) الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ (٤١٦/٦) شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ص: ٣٢٩).

(٣) الخلاف النحوي في القراءات القرآنية، ناصر سعيد ناصر العيشي (٤١٠/١).

(٤) دراسة بين النص والسياق، خلود العموش (ص: ٣٦٧).

(٥) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة (ص: ١٤٨) شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ص: ٢٠٣).

قرأ ابن عباس: (وتكفر) يكون معناه وتكفر الصدقات، وقراءة عكرمة: (وتكفر عنكم) أي أشياء من سيئاتكم، فأما النصب (ونكفر) فضعيف وهو على إضمار (أن) وجاز على بعد لأن الجزاء إنما يجب به الشيء لوجوب غيره فضارع الاستفهام.

إن الاتساق بين أول الكلام وآخره من حيث المعنى، ومن حيث اتصال الموضوع هاجس لدى المعرب في مسألة العطف وغيره، ومن ثم يصبح تآلف المعنى هو هدف النحوي، ثم الترتب المنطقي للأسباب والنتائج والوقائع، يعد هاجسا آخر وكل هذا له صلته بالسياق لخطاب القرآني.(١)

لذلك ظهرت مجموعة من الألفاظ والمصطلحات في صفحات الدراسات التي تتناول التركيب الصوتي والدلالي لآيات القرآن مثل (المشاكلة) و (اللياقة) (ما يليق) (والمضارعة) و (الالتئام) و (الاتساق) والسياق و (الانقطاع) و (الاتصال) و (النظم) و (التباين)، وقد نظر النحاة كذلك إلى عناصر الموقف الخطابي كاملًا من مثل استحضار المخاطب وما يليق في حقه، والمخاطب وما يناسبه من وجوه الخطاب واستحضار سياق الحال المرافق للخطاب، من مثل موقف الاستفهام أو الإنكار، وكان المعرب يقبل وجها أو يستبعد وجها آخر بالاتكاء على هذه المسائل وغيرها.

المطلب الثاني: آثار القراءات اللغوية والدلالية.

من المعاني الجميلة التي ينبغي ذكرها في هذا المقام كلمات ابن الجزري - رحمه الله - وهو يتكلم عن فوائد اختلاف القراءات: "وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية، إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل،

والخلاصة: أن تنوع القراءات يقوم مقام تعدد الآيات، وذلك ضرب من ضروب البلاغة يبتدئ من جمال هذا الإيجاز وينتهى إلى كمال الإعجاز؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة تقوم مقام آيات، ولو جعلت دلالة كل لفظ آية على حدتها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل.(٢)

---

(١) ينظر: دراسة بين النص والسياق، خلود العموش (ص: ٣٦٧).

(٢) النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى (٥٢/١)

وهو ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن القراءتين كالآيتين، فزيادة القراءات كزيادة الآيات"[١]

بمعنى أن هذه القراءات في تنوعها إنما هي معاني تضاف بعضها إلى بعض على سبيل الإثراء في وجوه الدلالات القرآنية، فهذا التركيب الصوتي بين الكلمات يتنوع فتتنوع معه المباني الدلالية.

هذا الاختلاف في القراءات والتنوع في التركيب الصوتي أكسب المفسرين فوائد جمة، وأضاء كثيرًا من المعاني المجملة في الآيات، وأذن بفهم بعض النصوص فهما لا تدل له القراءة الواحدة.[٢]

وقد ذكر العلماء أن ثمة اختلافا دلاليًّا مترتبًا على تناوب الحركات، فما بالك والحروف والكلمات.

تطبيقات لهذا المعنى:

ومن أبين الأمثلة في الدلالة على مجانسة التركيب الصوتي للمباني الدلالية:-

قولهم: "ففتحت (أن) لوقوع الإيمان عليها " يقصدون قوله تعالى: "فآمنا به"

بمعنى أنهم ردّوا الفتح للتجانس مع معنى الإيمان. فقد اختلف في همز: وأنه تعالى وما بعده إلى قوله سبحانه: (وأنا منا المسلمون) وجملته اثنا عشر فابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف بفتح الهمزة فيهن عطفا على مرفوع أوحى .. وقرأ أبو جعفر بالفتح في ثلاثة منها، وهى: (وأنه تعالى) و(أنه كان يقول) و(أنه كان رجال) جمعا بين اللغتين، وافقهم الحسن والأعمش والباقون بالكسر فيها كلها عطفا على قوله: (إنا سمعنا)[٣]

فاجتمع القراء على كسر (إنا) في قوله: (فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا) واختلفوا فيما بعد ذلك، فقرأوا: وإنا، وأنا إلى آخر السورة، وكسروا بعضًا، وفتحوا بعضًا . . وكان عاصم بكسر ما كان من قول الجن، ويفتح ما كان من الوحي.

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ (٤٠٠/١٣).

(٢) ينظر: القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ (ص: ١٣٠).

(٣) شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ص: ٣٢١) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ) تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان،: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ (ص: ٥٥٩).

فأما الذين فتحوا كلها فإنهم ردوا (أن) في كل السورة على قوله: فآمنا به، وآمنا بكل ذلك، ففتحت (أن) لوقوع الإيمان عليها، وأنت مع ذلك تجد الإيمان يحسن في بعض ما فتح، ويقبح في بعض، ولا يمنعك ذلك من إمضائهن على الفتح، فإن الذي يقبح من ظهور الإيمان قد يحسن فيه فعل مضارع للإيمان يوجب فتح أن كما قالت العرب.(١)

-ومثله قوله تعالى:] & ') (* + , - . / 0 Z [الفجر: ٢٥ – ٢٦] قرأ ذلك الكسائي بفتح الذال والثاء، على ما لم يسم فاعله، أضاف الفعلين إلى الكافر المعذب الموثق، ورفع (أحدا) لأنه مفعول لم يسم فاعله، فالهـــاء في] (Z للكافر، وكذلك هي في] . Z وهو الإنسان المذكور في قوله:] Å Æ Ç È É Ê Z [الفجر: ٢٣] والتقدير: لا يعذب أحد مثل تعذيبه، ولا يوثق أحد مثل إيثاقه، فأقام (العذاب) مقام التعذيب، و(الوثاق) مقام الإيثاق، كما استعملوا العطاء في موضع الإعطاء. والعذاب والوثاق اسمان وقعا موقع مصدرين، وذلك مستعمل في كلام العرب.(٢)

قال أبو علي الفارسيّ: "واختاره الشيخ أبو عمرو ليفيد المعنى زيادة عذاب هذا الإنسان على غيره وإذا عاد الضمير إلى الله تعالى لم يفد هذا المعنى بخلاف قراءة الفتح فإن على كلا التقديرين يحصل هذا المعنى؛ فإن الهاء إن عادت على الإنسان فظاهر على ما سبق وإن عادت على الله تعالى كان المعنى لا يعذب أحد مثل تعذيب الله تعالى لهذا الإنسان واختار أبو عبيد قراءة الفتح وأسند فيها حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مع صحة المعنى فيها لأن تفسيرها لا يعذب عذاب الكافر أحد، ومن قرأ بالكسر فإنه يريد لا يعذب عذاب الله عز وجل أحد، قال: وقد علم المسلمون أنه ليس يوم القيامة معذب سوى الله تعالى فكيف يكون لا يعذب أحد مثل عذابه"(٣)

قوله تعالى:] 6 7 8 9 : ; < Z [الصافات: ٦] لاحظ الدارسون للقراءات مناسبة القراءات والمعاني الدلالية، والتي تساير التفسير العلمي الحديث لكتاب الله تعالى، ففي الآية الكريمة قرأ حمزة وحفص:] : Z منون] ; Z جر جعلا الكواكب هي الزينة وهي بدل منها لأنها هي هي كما تقول

(١) معاني القرآن، الفراء (١٩١/٣).

(٢) شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ص: ٣٢٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب (٣٧٣/٢).

(٣) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسيّ (٤١٦/٦).

مررت بأبي عبد الله زيد المعنى أنا زينا السماء بالكواكب، وبدل المعرفة من النكرة جيد، ونظير هذا في القرآن:

ﯨ[9 : ; < = > ? @ A B C D E F G H Z ﯩ

[الشورى: ٥٢ - ٥٣] فأبدل المعرفة من النكرة.

وقرأ أبو بكر عن عاصم:] : Z بالتنوين] ; Z نصب مفعول بها أعمل (الزينة) في (الكواكب) المعنى أنا زينا الكواكب فيها كقولك عجبت لعمرو من ضرب زيد أي من أن يضرب زيدا فهذا مجرى المصادر.[١]

فقراءة الجمهور بإضافة (زينة) إلى الكواكب. وقرأ حمزة على أن الكواكب بدل من (زينة) وقراءة شعبة عن عاصم بتنوين (زينة) وبنصب (الكواكب) على الاختصاص بتقدير: أعني

وقال الطبري: "وأما القراءة فأعجبها إلى بإضافة الزينة إلى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية وأنها قراءة أكثر قراء الأمصار"[٢]

والتفسير العلمي يوافق قراءة الجمهور وأقرب تفسير إليها تفسير ابن عباس فقد فسر قوله تعالى: (بزينة الكواكب) بضوء الكواكب.

والتفسير العلمي لهذه الآية: قال تعالى بزينة الكواكب ولم يقل بالكواكب فيستدل من ذلك أن ضوء الكواكب الذي هو زينتها ليس في ذاتها وليس منها بل هو عارض عنها أي ضوء مكتسب ومعكوس، وهذا التفسير قد اعتمد على قراءة الجمهور على أن قراءة حمزة تدل على أن الزينة هي نفسها الكواكب فتكون نسبة الضوء إلى الكواكب لأنها هي التي تعكسه كما نقول نور القمر، وأصل نوره مستمد من الشمس.[٣]

فاحتوت كل قراءة مع اختلاف أنواعها على تغيير وتبديل في الإعراب والدلالة والتركيب، كل هذا في نسق؛ وذلك لكون هذه الأشياء مرتبطة المعاني متشابكة الأداء في إحداث التأثير والتناغم والاتفاق على التغيير المطلوب في التفاعل مع الفهم المستجد كل مرة تفرق في القراءة عن أختها، وهو الذي أردنا طرحه ومناقشته من

(١) شرح طيبة النشر في القراءات، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ص: ٣٠٢) حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ص: ٦٠٤).

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ (٤٩٧/١٤).

(٣) الضابط اللغوي في التفسير العلمي، هدى هشام إسماعيل الزيدي، أطروحة مقدمة إلى كلية التربية للبنات /جامعة بغداد وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها. ١٤٢٥ هـ (٣١/١).

خلال هذه الدراسة، والتي نرى أن الحديث فيها متسع ومرتع خصيب ربما يحتاج إلى غير هذا كثير من الطرح والدرس.

الخاتمة

وتحتوي على:

النتائج:

استبان من خلال البحث:

١- أن القراءات القرآنية هي تلك الصور المشروعة لقراءة القرآن بحيث يتميز في أدائه وتركيبه ومعانيه.

٢- الصوت هو ذلك التناغم السمعي المركوز في الفطرة السوية.

٣- المعنى هو تلك الدلالات الواقعة في النفس من سماع النص والتأثر به.

٤- أن هناك أسبابا للاختلاف في قراءات القرآن أهمها إرادة التخفيف والتيسير على الأمة وتفضيل القرآن على سائر الكتب.

٥- أن الاختلاف في القراءات القرآنية يثري النص القرآني بمعان جديدة تسهم في النواحي الفقهية واللغوية وغيرها.

٦- اختلاف القراءات يغير في اختلاف التركيب في الجملة وينقلها إلى أطوار متغايرة من التعبير في الصورة المعنوية المتقاربة

٧- أدى الاختلاف في القراءة في بناء التركيب الصوتي في الجملة بحيث تناسق كل اختلاف في تناغم صوتي متناسق متناسب.

٨- أثر في المعاني والدلالات بحيث نشأت دلالات أكثر في التعبير وآثر في أحيان في الترجيح الفقهي واللغوي.

التوصيات:

١- التوصية ملحة إلى ترجمة الدور القرآني في الخلاف في قراءته إلى معان ونتائج يستفاد بها في الدراسات اللغوية والشريعة

٢- تشجيع المحاولات قائمة في هذا السياق لتسليط الضوء على جمال البحث الاستنتاج في هذا النوع من الدراسات.

٣- الحرص على أن يكثف ترجمة تلك العلاقة القوية بين القراءات والثراء اللغوي والتركيبي.

مصادر البحث:

١- الإبانة في اللغة العربية، سَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري – تحقيق: د. عبد الكريم خليفة - د. نصرت عبد الرحمن - د. صلاح جرار - د. محمد حسن عواد - د. جاسر أبو صفية - وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان - الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م.

٢- اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: ١١١٧هـ) تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية – لبنان،: الثالثة، ٢٠٠٦م - ١٤٢٧هـ.

٣- أثر تعدد الآراء النحوية في تفسير الآيات القرآنية، د. سامي عوض ــ ياسر محمّد مطره جي، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية مجلد (٢٩) عدد (١) ٢٠٠٧م.

٤- إعراب القراءات السبع وعللها، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠ هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٣ هـ.

٥- إعراب القرآن، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: ٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ.

٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين - دار الهداية.

٧- تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨- التذكرة في القراءات لطاهر بن عبد المنعم بن غلبون، تحقيق الدكتور عبد الفتاح بحيري إبراهيم (٢: ٥٧١) نقلًا عن المحرر في علوم القرآن، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ط: الثانية، ١٤٢٩ هـ.

٩- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر - دار الكتب العلمية بيروت - لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

١٠- تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
١١- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي (المتوفى: ٤٤٤ هـ) تحقيق: د. خلف حمود سالم الشغدلي - الشيخ علي بن عبد الرحمن الحذيفي، والشيخ عبد الرافع بن رضوان بن علي الشرقاوي - دار الأندلس للنشر والتوزيع، حائل - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
١٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
١٤- حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي ٤٠٣هـ) تحقيق: الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.
١٥- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: ٣٧٧هـ) تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط: الثانية، ١٤١٣ هـ.
١٦- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الرابعة.
١٧- الخلاف النحوي في القراءات القرآنية، ناصر سعيد ناصر العيشي، إشراف: أ. د. عبد الله أحمد الجبوري، أطروحة تقدم بها المؤلف إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية، وهي جزء من متطلبات نيل درجة دكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها جمادى الأولى ١٤٢٣هـ.

١٨- شرح طيبة النشر في القراءات، ابن الجزري (ت: ٨٣٣هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الثانية، ١٤٢٠ هـ.

١٩- صفحات في علوم القراءات، د. أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، المكتبة الأمدادية، ط: الأولى- ١٤١٥ هـ.

٢٠- الصوت اللغوي في القرآن، الدكتور محمد حسين علي الصغير، دار المؤرّخ العربي – بيروت،: الأولى - ١٤٢٠ هـ.

٢١- علوم القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية، بجاد بن حمود بن محمد العماج، إشراف: أ. د. إبراهيم بن سعيد بن حمد الدوسري.

٢٢- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٣- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، دار الفكر – دمشق، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٢٤- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

٢٥- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) - تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي - الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٢٦- الكشف عن وجوه القراءات السبع، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧ هـ) مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.، ط: الأولى، ١٣٩٤ هـ.

٢٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر – بيروت - الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

٢٨- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.

٢٩- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٠- معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى.
٣١- المعجم المحيط، أديب اللجمي-شحادة الخوري - البشير بن سلامة-عبد اللطيف عب - نبيلة الرزاز - المراجعة والتنسيق: أديب اللجمي- نبيلة الرزاز.
٣٢- المعنى القرآني في ضوء اختلاف القراءات، أ.د أحمد سعد الخطيب، الأستاذ المشارك بكلية التربية للبنات بجازان، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الأزهر، إهداء من المؤلف وفقه الله لشبكة التفسير والدراسات القرآنية.
٣٣- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ) تحقيق: صفوان عدنان الداودي - الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت - الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.
٣٤- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا، أحمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الأشموني المصري الشافعي (ت: نحو ١١٠٠هـ)، تحقيق: عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث - القاهرة، ٢٠٠٨م.
٣٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣هـ) دار الكتب العلمية- الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
٣٦- الموضح في وجوه القراءات وعللها، نصر بن علي بن أبي مريم (ت: بعد ٥٦٥ هـ) الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط: الأولى، ١٤١٤ هـ.
٣٧- النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: ٨٣٣ هـ) تحقيق: علي محمد الضباع (المتوفى ١٣٨٠ هـ) المطبعة التجارية الكبرى - تصوير دار الكتاب العلمية.
٣٨- النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط: الثالثة، ١٩٧٦م.